مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة-علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (١٢/٢٠٢٠) ISSN:٢٦١٧-٥٨٩٤

# ظلم النفس وتوجه المسؤولية الفردية عليه
## دراسة لنماذج من القرآن الكريم

د/عبدالرقيب عبده خالد عبدالله

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

اليمن ـ فرع إب

dr.abdulrkib@gmail.com

**ملخص البحث**

يهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة ظلم النفس، وما يترتب عليه من مسؤولية فردية؛ وذلك من خلال دراسة نماذج من القرآن الكريم. وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي؛ من أجل الوصول إلى ما يهدف إليه هذا البحث. وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد فيه بيان مصطلحات البحث، وخمسة مباحث، فيها بيان النهي عن ظلم النفس، وذكر نماذج قرآنية لمن وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، ودعوة الله تعالى من ظلم نفسه للتوبة إليه، وعاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، منها: أن الله نهى الناس عن ظلم أنفسهم، وبين لهم مخاطر وعواقب هذا النوع من الظلم في الدنيا والآخرة، وذكر الله تعالى لنا ـ في كتابه الكريم ـ نماذج متنوعة لمن ظلموا أنفسهم؛ حتى نحذر من سلوك مسلكهم والوقوع فيما وقعوا فيه، وأن اليهود والكفار أكثر الناس وقوعاً في ظلم أنفسهم، وظلم النفس يقع فيه كثير من المسلمين بنسب متفاوتة، وظلم النفس لا تصل آثاره إلى آخرين، بل يضر صاحبه في الدنيا والآخرة، وأن الله فتح باب التوبة لمن ظلموا أنفسهم قبل الندامة يوم الوقوف بين يديه.

**كلمات مفتاحية:** الظلم، النفس، القرآن الكريم.

## Abstract

The present study aims at recognizing the oppression of one's soul and its aftermaths and personal duties through the study of some models from the Holy Quran. The research method of this study is the descriptive and analytical method. This study consists of a prelude، introduction including the terms related to the topic of study، and five chapters. These chapters include a declaration of the avoidance of the oppression of one's soul. More models are presented to support the topic and to behave according to the Allah's approach in this regard. The results obtained from this study can be found that Allah has prohibited the oppression of one's soul. Allah has disclosed for all humans the terrible results of this oppression in this life and the life hereafter. Allah has given us some examples of those who oppressed themselves to be away from them and to warn others from their oppressed behavour، Among these are the Jewishes، Christians and some mistaken Muslims with relative percentage. This oppression goes beyond the oppressor himself or herself. The solution for this dilemma is totally in repentance which is still open for all the sinners before it is too late. This study concluded with the major results and recommendations.

**Keywords:**
Holy Quran ، Soul، Oppression

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن المسلم مطلوب منه أن يسعى لتخليص نفسه من عذاب الله وعقابه في الآخرة، ولن يحصل على هذه الأمنية العزيزة إلا إذا ابتعد عن الوقوع في ظلم نفسه ـ وذلك بتجنب الوقوع في المعاصي والسيئات وكل ما يجلب له سخط الله وعقابه ـ فعلى المسلم الطالب للنجاة أن يُلم بأطراف هذا الموضوع، من خلال التأمل في النماذج القرآنية التي ذكرها الله في كتابه الكريم لمن وقعوا في ظلم أنفسهم؛ وأن يتعرَّف على مخاطر ظلمه لنفسه، وعاقبة ذلك عليه في الدنيا والآخرة.

### أهمية البحث

حذر الله عباده من الوقوع في الظلم بكل صوره وأنواعه ـ سواء كان هذا الظلم بين العبد وبين ربه سبحانه تعالى، أو بينه وبين الخلق، أو وقع العبد في ظلم في حق نفسه. والنوعان الأولان من أنواع الظلم قد حظيا بالدراسة والبحث بشكل كبير، وظلم النفس لم يحضَ بدراسة مستوفاة ـ حسب علمي ـ فكانت هذه الدراسة مساهمةً مني لسد هذه الفجوة.

### أهداف البحث

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يلي:

١: بيان حقيقة ظلم النفس.

٢: ذكر مدى خطورة هذا النوع من أنواع الظلم.

٣: ذكر نماذج قرآنية لمن وقعوا في ظلم أنفسهم.

٤: بيان أهمية التوبة من ظلم النفس.

٥: ذكر عاقبة ظلم النفس في الدنيا والآخرة.

**مشكلة البحث**

ظلم النفس قد يتساهل بالوقوع فيه الكثير من الناس، رغم أن له عواقب ومخاطر متعددة في الدنيا والآخرة؛ فكان لا بد من بيان تلك العواقب والمخاطر من خلال القرآن الكريم، ومعرفة طريق التوبة إلى الله تعالى من ظلم النفس.

**تساؤلات البحث**

يجيب هذا لبحث عن الأسئلة التالية:

١ـ ما حقيقة ظلم الإنسان لنفسه؟

٢ـ ما النماذج الإنسانية التي ذكرها القرآن الكريم لمن ظلموا أنفسهم؟

٣ـ ما الطريق إلى التوبة من ظلم النفس؟

٤ـ ما العواقب المترتبة على ظلم النفس في الدنيا والآخرة؟

**حدود البحث**

نماذج من الآيات القرآنية المتعلقة بظلم النفس في القرآن الكريم.

**منهجية البحث**

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع الآيات التي تدل على الموضوع، وتقسيمها بحسب دلالاتها إلى مباحث، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وآرائهم.

**الدراسات السابقة**

موضوع الظلم ـ بشكل عام ـ كتب فيه أهل العلم كتباً كثيرة في القديم والحديث، ومن أبرز الكتب التي وقفت عليها في هذ الموضوع ما يلي:

١. معاملة الظالم، لابن رجب الحنبلي، وهي رسالة طبعت ضمن مجموعة رسائل لابن رجب، وقد ذكر فيها مجموعة من الأحاديث النبوية، التي فيها بيان كيفية التعامل مع الظالم السارق.

٢. ذم البغي، لابن أبي الدنيا، أيضاً عالج موضوع البغي والظالم مستدلاً على ذلك بالأحاديث النبوية، وقد حوى الكتاب على أكثر من ثلاثين نصاً نبويا في ذلك، وهي دائرة ما بين الحديث الصحيح والضعيف، ولم يتناول الموضوع من ناحية قرآنية.

٣. الظلم والظالمون، للشيخ مُحَمَّد متولي الشعراوي، تحدث فيه الشيخ بصورة اجمالية عن الظلم ومخاطره، وذكر عقوبات الله للظالمين في الدنيا الآخرة.

٤. الظلم وانعكاساته على الإنسانية، وهو عبارة عن بحث ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادر عن إدارة البحوث الإسلامية في دولة قطر، للأستاذ الدكتور عثمان مُحَمَّد غنيم، وقد تناول فيه الباحث حديثاً عن صور من صور الظلم المعاصرة كالظلم السياسي والظلم الاجتماعي، وآثارهما في الحياة المعاصرة.

ومع كثرة الكتب والبحوث التي كُتبت حول الظلم، إلا أن الباحث لم يجد بحثا موضوعيا مستقلاً في ظلم النفس، وإنما يُشير إليه أهل العلم في كتبهم إشارات سريعة ـ في القديم والحديث ـ فكان هذا البحث مساهمة من الباحث لبيان هذا النوع من الظلم ودراسة بصورة مستقلة.

**خطة البحث**

اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

**المقدمة**: ذكرت فيها، أهمية البحث، وأهدافه، مشكلة البحث، تساؤلاته، وحدود البحث، منهجية الباحث التي سار عليها، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

**التمهيد**: يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث

**المبحث الأول**: النهي عن ظلم النفس.

**المبحث الثاني**: نماذج قرآنية لمن ظلموا أنفسهم.

**المبحث الثالث**: ظلم اليهود لأنفسهم.

**المبحث الرابع**: التوبة من ظلم النفس.

**المبحث الخامس**: عاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه.

**الخاتمة**: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

## التمهيد

## التعريف بمصطلحات البحث

### أولاً: الظلم في اللغة

قال ابن فارس:" الظاء واللام والميم أصلانِ صحيحانِ، أحدهما خلافُ الضِّياء والنور، والآخَر وَضْع الشَّيءِ غيرَ موضعه تعدّياً"[١] .

وقال ابن منظور:" الظُّلْمُ وَضْع الشيء في غير موضِعه، وأصل الظُّلم الجَوْرُ ومُجاوَزَة الحدِّ ومنه حديث الوُضُوء:" من زاد فقد أساء وظلم أو اعتدى وظلم "[٢] أي أَساءَ الأدبَ بتَرْكِه السُّنَّةَ والتَّأَدُّبَ بأَدَبِ الشَّرْعِ وظَلَمَ نفْسه بما نَقَصَها من الثواب بتَرْدادِ المرّات في الوُضوء، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾{الأنعام: ٨٢}، قال ابن عباس وجماعةُ أهل التفسير لم يَخْلِطوا إيمانهم بِشِرْكٍ"[٣].

### ثانياً: الظلم في الاصطلاح

عرَّفه الجرجاني بقوله:" وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد"[٤]

وقال المناوي:" الظلم التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد، وقيل وضع الشيء بغير محله بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه"[٥].

### ثالثاً: أنواع الظلم

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا، معجم مقاييس اللغة. ٣/ ٣٦٦.

(٢) مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، برقم(١٧٤)، وتمام الحديث، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، أن أعرابيا أتى النبي ﷺ ، فسأله عن الوضوء ، فتوضأ رسول الله ﷺ ثلاثا ثلاثا ، فقال : « من زاد فقد أساء وظلم أو اعتدى وظلم »

(٣) مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب. ٣٧٣/١٢.

(٤) علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني ، التعريفات، صـ٤٦.

(٥) مُحَمَّد عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعاريف، صـ٢١٤.

قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى" **الظُّلْمُ ثلاثةٌ: الأوّل**: ظُلْمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشّرك والنّفاق، ولذلك قال:﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ {لقمان: ١٣}، **والثاني**: ظُلْمٌ بينه وبين الناس، وإيّاه قصد بقوله: ﴿ **إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾** ﴾ {الشورى: ٤٢ }، **والثالث**: ظُلْمٌ بينه وبين نفسه، وإيّاه قصد بقوله:﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾** ﴾{فاطر: ٣٢}"[(١)]وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " فالظلم ثلاثة أنواع، فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه، وظلم الناس بعضهم بعضا لابد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة، فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع، وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه، وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله فبه صار من أهل الشفاعة "[(٢)] .

والدليل على تقسيم الظلم إلى هذه الأنواع الثلاثة ما جاء في ذلك من أحاديث نبوية، فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الظلم ثلاثة، فظلم لا يتركه الله وظلم يغفر وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض " [(٣)]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قال رسول الله ﷺ: «الدواوين ثلاثة،

---

(١) أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، صـ٥٣٧، باختصار.

(٢) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، ٧٨/٧

(٣) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي برقم (٢٢٢٣)، وحسنه مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة برقم (١٩٢٧).

فديوان لا يغفر الله منه شيئا، وديوان لا يعبأ الله به شيئا، وديوان لا يترك الله منه شيئا، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئا فالإشراك بالله عز وجل قال الله عز وجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾{النساء: ٤٨}، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئا قط فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئا فمظالم العباد بينهم القصاص لا محالة»[١]، وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" وأما حديث الدواوين فإنما فيه أن حق الرب تعالى لا يؤوده أن يهبه ويسقطه ولا يحتفل به ويعتني به كحقوق عباده، وليس معناه أنه لا يؤاخذ به البتة، أوأنه كله صغائر، وإنما معناه أنه يقع فيه من المسامحة والمساهلة والإسقاط والهبة ما لا يقع مثله في حقوق الآدميين "[٢]

**رابعاً: معنى ظلم الإنسان لنفسه**

بعد أن علمنا أنواع الظلم، بقي أن نعلم معنى ظلم الإ نسان لنفسه، قال الإمام ابن القيم :" ظلم النفس إنما هو بالمعاصي، واتباعها شهواتها وإيثارها لها على طاعة ربها" [٣]؛ ذلك أن النفس تلحقها العقوبات الربانية بسبب ارتكابها لتلك لذنوب والمعاصي؛ لهذا قال الإمام ابن الجوزي :"ذكر أهل التفسير أن الظلم في القرآن على ستة أوجه... ومنها الاضرار بالنفس، ومنه قوله تعالى ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾{ هود: ١٠١} [٤]، ويؤيد هذا ما رواه أبوبكر الصديق رضى الله عنه أنه قال للنبي ﷺ:"علمني دعاء أدعوبه في صلاتي

---

(١) أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥هـ)،المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص، للذهبي برقم (٨٨٦٨)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي في التلخيص معلقاً على هذ الحديث: فيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة.

(٢) مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣٢٧/١.

(٣) مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ، طريق الهجرتين وباب السعادتين، صـ ٢٩٤، باختصار وتصرف يسير.

(٤) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، صـ ٤٢٨ باختصار.

قال:«قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم»[١]

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:" ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا فإنه يمحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفِّرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يمحى إلا بالتوحيد وديوان المظالم لا يمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها"[٢]

وأنواع الظلم الثلاثة في الحقيقة هي ظلم للنفس، ويدل على هذا المعنى حديث أنس ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: « انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال تأخذ فوق يديه»[٣]، "قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهومن وجيز البلاغة، وقال البيهقي: معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى [٤] .

وبهذا يتبن لنا أن ظلم الإنسان لنفسه أحد أنواع الظلم الثلاثة التي جاء النهي عنها، وأنه أخف أنواع الظلم ـ لأنه يجري فيه من المسامحة بين العبد وربه مالا يجري مع غيره من أنواع الظلم الأخرى ـ وأن ظلم النفس يشمل على فعل صغائر الذنوب وكبائرها، وهوما سنتناوله في بحثنا هذا، حيث سنذكر نماذج قرآنية لتلك الذنوب والمعاصي التي ارتكبها جماعة من الناس، فظلموا أنفسهم بذلك؛ فاستحقوا عقوبات الله لهم في الدنيا وعذابه في الآخرة.

---

(١) مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، برقم(٥٨٥١).

٢) مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (٦٩١ – ٧٥١)، الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ص ٣٣.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٢٦٤).

(٤) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥/ ٩٥.

## المبحث الأول:

## النهي عن ظلم النفس

نزه الله تعالى نفسه عن ظلمه لعباده، وبين لنا في كتابه الكرين أن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، بكفرهم بالله تعالى، أو بارتكابهم المعاصي والسيئات، وتركهم لطاعة ربهم سبحانه وتعالى، قال تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾{ يونس: ٤٤}، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" ذكر هذا عقب ما تقدّم من عدم الاهتداء بالأسماع والأبصار، لبيان أن ذلك لم يكن لأجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل، والبصر والبصيرة، بل لأجل ما صار في طبائعهم من التعصب والمكابرة للحق، والمجادلة بالباطل، والإصرار على الكفر، فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك، ولم يظلمهم الله شيئاً من الأشياء، بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل إدراك، وركب فيهم من الحواس ما يصلون به إلى ما يريدون، ووفر مصالحهم الدنيوية عليهم، وخلى بينهم وبين مصالحهم الدينية"[١]، وعن أبي ذر عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه ربه عز وجل: "يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا -إلى أن قال في آخره: يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه". [٢] .

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن بين لهم طريق الهدى والضلال، وبين لهم أسباب النجاة في الدنيا وسبل السعادة في الآخرة، وحذرهم من أن يقعوا في ظلم أنفسهم؛ حتى لا يتعرضوا لسخط الله تعالى وعقابه قال تعالى:﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ

---

(١) مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، ٣ / ٣٧٩.

(٢) مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ، برقم(٤٦٧٤)

فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ {التوبة: ٣٦.}، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" يقول تعالى ذكره: إن عدة شهور السنة اثنا عشر شهرا في كتاب الله، الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى ﴿ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾، وهذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم، كانت الجاهلية تعظمهن، وتحرمهن، وتحرم القتال فيهن، حتى لولقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه، وهن: رجب مضر وثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكرة رضى الله عنه: أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»[١]، وأما قوله:﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ ﴾، فإن معناه: هذا الذي أخبرتكم به، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، وأن منها أربعة حرما: هو الدين المستقيم، وأما قوله:﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ ، فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه "الهاء" و"النون" في قوله:﴿ فِيهِنَّ ﴾، فقال بعضهم: عاد ذلك على "الاثني عشر شهر، وقال: معناه: فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم، و"الهاء والنون" عائدة على "الأشهر الأربعة، قال قتادة: الظلم في الأشهر الحرم عظم خطيئة ووزرا، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل،

---

(١) صحيح البخاري، برقم (٤٢٩٤).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالا وحلالها حراما.

قال الإمام الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم، باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظم حرمتها، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب في تأويله، لقوله: ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾، فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة؛ وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة، إذا كنت عنه: "فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين" وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت: "فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت، ولأربع عشرة مضت" فكان في قوله جل ثناؤه: ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾، وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة، الدليل الواضح على أن "الهاء والنون"، من ذكر الأشهر الأربعة، دون الاثني العشر؛ لأن ذلك لوكان كناية عن "الاثني عشر شهرا"، لكان: فلا تظلموا فيها أنفسكم، فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، فهل يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة؟! قيل: ليس ذلك كذلك، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة، فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ {البقرة: ٢٣٨}، ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ ﴾، ولم يبح ترك المحافظة عليهن، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى، ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما، وعلى المحافظة عليها توكيدا وفي تضييعها

تشديدا. فكذلك ذلك في قوله: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾"[1].

وذكر الإمام ابن الجوزي أربعة أقوال بالمراد بظلم الأنفس في الأشهر الحرم، فقال رحمه الله تعالى:" في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال **أحدها**: أنها المعاصي، فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها؛ وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ {البقرة : ١٩٧}، وإن كان منهيا عن هذه الأمور في غير الحج، هذا قول الأكثرين .

**والثاني**: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء: وهو تحليل شهر محرم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق،

**والثالث**: أنه الابتداء بالقتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن يبدؤوكم بالقتال، قاله مقاتل.

**والرابع**: أنه ترك القتال فيهن، فيكون المعنى: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ بترك المحاربة لعدوكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل، والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجا للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعا"[2].

فالنهي عن ظلم النفس ـ بالمعاصي والسيئات ـ يشمل سائر الأيام والليالي، إلا أن حرمتها تزداد تأكيداً في الأشهر الحرم؛ لمكانة هذه الأشهر ومنزلتها عند الله تعالى.

---

(1) مُحَمَّد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/١٤، باختصار، وتصرف يسير.

(2) أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٣/ ١٧٣، باختصار وتصرف يسير.

## المبحث الثاني:

## نماذج قرآنية لمن ظلموا أنفسهم

ذكر الله تعالى ـ في كتابه الكريم ـ لنا نماذج كثيرة لمن ظلموا أنفسهم، وذِكْرُ هذه النماذج حتى نعتبر بها، ولا نقع فيما وقعوا فيه، وهي نماذج متنوعة، فمنهم من ظلم نفسه فقاده ظلمه لنفسه للكفر بالله تعالى وإلى الإعراض عن نعم الله تعالى، ومنهم من قاده ظلمه لنفسه فأنكر قدرة الله تعالى ولقائه، منهم من وقع في هذا النوع من الظلم فعبد غير الله تعالى، ومنهم من ظلم نفسه بصده عن سبيل الله تعالى وظلمه لغيره، وسوف ينتظم الحديث في هذا المبحث في أربعة مطالب على النحو التالي:

### المطلب الأول:

### ظلم قوم سبأ لأنفسهم، بإعراضهم عن نعم الله تعالى

ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم، قصة قوم سبأ الذين ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن نعم الله تعالى، وسميت سورة كاملة باسمهم "سورة سبأ"، وأخبر تعالى أنه أنعم عليهم بنعم كثيرة، فأعطاهم جنتين عن أيمانهم وشمائلهم، فيهما كل ما تهواه أنفسهم، فقابلوا كل هذه النعم بالإعراض عن الله تعالى وكفران نعمه، وبذلك وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، واستحقوا عقاب الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾{ سبأ: ١٥ – ١٩.}، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية:" وكان لأهل سبأ سد عظيم قرب بلاد مأرب يعرف بسد مأرب، وكان أعظم السداد في بلاد اليمن التي كانت فيها سداد كثيرة متفرقة،

وكانوا قد جعلوا هذه السدود لخزن الماء الذي تأتي به السيول في وقت نزول الأمطار في الشتاء والربيع ليسقوا منها المزارع والجنات في وقت انحباس الأمطار في الصيف والخريف،.. وكان سد مأرب ـ الذي يحفظ فيه سيل العرم ـ شرع في بنائه سبأ أول ملوك هذه الأمة، ولم يتمه فأتمه ابنه حمير، وكان يصب في سد مأرب سبعون واديا[١]، وجعلوا هذا السد بين جبلين يعرف كلاهما بالبلق، فهما البلق الأيمن والبلق الأيسر، وأعظم الأودية التي كانت تصب فيه اسمه "إذنه"، ولا يعرف وقت انهدام هذا السد ولا أسباب ذلك، والظاهر أن سبب انهدامه اشتغال ملوكهم بحروب داخلية بينهم ألهتهم عن تفقد ترميمه حتى تخرب، أو يكون قد خربه بعض من حاربهم من أعدائهم.

وقد ذكر أهل القصص لهذا التفرق سببا هو أشبه بالخرافات فأعرضت عن ذكره، وهو موجود في كتب السير والتواريخ[٢]، وعندي أن ذلك لا يخلو من خذلان من الله تعالى سلبهم التفكر في العواقب فاستخف الشيطان أحلامهم فجزعوا من انقلاب حالهم ولم يتدرعوا بالصبر حين سلبت عنهم النعمة ولم يجأروا إلى الله بالتوبة فبعثهم الجزع والطغيان والعناد وسوء التدبير من رؤسائهم على أن فارقوا أوطانهم عوضا من أن يلموا شعثهم ويرقعوا خرقهم فتشتتوا في الأرض، ولا يخفى ما يلاقون في ذلك من نصب وجوع ونقص من الأنفس والحمولة والأزواد والحلول في ديار أقوام لا يرثون لحالهم ولا يسمحون لهم بمقاسمة أموالهم فيكونون بينهم عافين[٣] .

قال الإمام الألوسي:" ﴿ وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ ﴾ جمع أحدوثة، وهي ما يتحدث به على سبيل

---

(١) في مأرب السد المشهور وإليه تسيل أودية مأرب التي تأتي من بلاد رداع وأكثر بلاد ذمار، وجميع بلاد الحدا وقاع جهران وخولان العالية وغير ذلك من الأودية، ينظر: مُحَمَّد بن أحمد بن علي الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ٢/ ٦٨٤.

(٢) ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية. ٣/ ١١٣، باختصار.

(٣) مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، ٢٢/ ١٦٩، باختصار وتصرف.

التلهي والاستغراب لا جمع حديث على خلاف القياس، وجعلهم نفس الأحاديث إما على المبالغة أو تقدير المضاف أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم، وقيل: المراد لم يبق منهم إلا الحديث عنهم، ولو بقي منهم طائفة لم يكونوا أحاديث ﴿ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ المراد بتمزيقهم تفريقهم بالتباعد، وقد لحقت غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان، وقضاعة بمكة وأسد بالبحرين وخزاعة بتهامة، والحق أن تمزيقهم وتفريقهم في البلاد كان بعد إرسال السيل، نعم لا يبعد خروج بعضهم قبيله حين استشعروا وقوعه، وزعم بعضهم أن تفرقهم كان قبيل مجيء السيل، وفي الحديث أن سبأ أبو عشرة قبائل فلما جاء السيل على مأرب تيامن منها ستة قبائل وتشاءمت أربعة[١]، ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ أي فيما ذكر من قصتهم ﴿ لَءَايَٰتٍ ﴾ عظيمة ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ أي شأنه الصبر على الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات، وقيل : شأنه الصبر على النعم؛ بأن لا يبطر ولا يطغى ﴿ شَكُورٍ ﴾ شأنه الشكر على النعم، وتخصيص هؤلاء بذلك؛ لأنهم المنتفعون بها"[٢].

فقوم سبأ كانوا قوماً كافرين، قادهم كفرهم إلى ظلم أنفسهم؛ بأن أعرضوا عن نعم الله تعالى عليهم، ولم يشكروه عليها؛ فاستحقوا أن يُهلكهم الله بسيل العرم، قال تعالى ـ معلقاً على سبب هلكهم ـ: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾{ سبأ: ١٧}.

---

(١) عن فروة بن مسيك المرادي رضى الله عنه قال أتيت النبي ﷺ... فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال:" ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار" فقال رجل: يا رسول الله وما أنمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة" ينظر: مُحَمَّد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، برقم (٣٢٢٢)، الحديث مختصرا، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال عنه الألباني، في صحيح الترمذي: حديث حسن صحيح برقم(٢٥٧٤)

(٢) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٦/ ٢٩٣، باختصار وتصرف.

## المطلب الثاني:

## صاحب الجنة الذي ظلم نفسه بإنكاره قدرة الله تعالى ولقائه

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كثيراً من القصص التي وقعت في الأمم الماضية، والهدف من إيراد هذه القصص أخذ العبرة والعظة، وغرس الإيمان وتثبيته في نفوس المؤمنين، وبيان عاقبة ظلم النفس، ومن هذه القصص قصة الرجل الذي آتاه الله جنتين فيهما الوان كثيرة من الفواكه والزوع والثمار، فافتتن بجمالهما، وكانتا سببا لظلمه لنفسه؛ بأن جحد نعمة الله عليه، وأنكر البعث والآخرة، ولم يستمع لصاحبه المؤمن الذي ذكره بعظمة الله وقدرته، فعاجله الله تعالى العقوبة في الدنيا، بأن أحاط بجنتيه فدمرهما بما فيهما من الفواكه والثمار، فأصبح نادماً متحسراً على ما حلَّ بجنتيه من هلاك ودمار، وجعل يتحسر على نفقاته الطائلة فيهما، وهو يراهما أمام عينيه وقد أصبحتا خاويتين على عروشهما، فعند ذلك تيقن أن ما أصابه كان بسبب ظلمه لنفسه، وكفره بربه والذي خلقه من تراب، قال الله تعالى واصفا حال هذا الرجل الظالم لنفسه: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ {الكهف: ٣٥ – ٣٨ } قال سيد قطب:" قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، ويحسب هذه النعمة خالدة لا تفنى، فلن تخذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره، وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة :﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ {الكهف: ٣٢- ٣٣}..، وفجأة

ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر، والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن :﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ {الكهف:٤٢- ٤٤}، وهو مشهد شاخص كامل، الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة، وصاحبها يقلب كفيه - أسفاً وحزناً - ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾{الكهف: ٤٣-٤٤}، ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً، وجلال الله يظلل الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان"(١).

قال السعدي:" يقول تعالى لنبيه ﷺ: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما،.. وفي القصة إرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير، وفيها الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصا إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلى الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم"(٢).

---

(١) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ٦٤/٥، باختصار.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، صـ ٤٧٦، باختصار.

فصاحب الجنتين قاده ظلمه لنفسه إلى كفره بالله تعالى وانكاره لقدرة الله تعالى ولقائه؛ ولم يستمع لنصح صاحبه المؤمن الذي ذكره بخالقه وقدرته، فاستحق أن يُحط الله بجنتيه وأن يهلكهما.

## المطلب الثالث:

## الذين ظلموا أنفسهم بإنفاقهم أموالهم للصد عن سبيل الله

يحرص أعداء الله تعالى من الكفار على جمع الأموال الطائلة، ويسخرونها للصد عن سبيل الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ ﴾{ الأنفال: ٣٦}، وربما أنفقوا بعضا من أموالهم في وجوه يرون أن فيها خيرا ونفعا للغير، لكن نفقاتهم هذه لن يتقبلها الله منهم؛ لأنهم قد ظلموا أنفسهم بوقوعهم بالكفر والصد عن سبيل الله تعالى، فلا ينفعهم مع ذلك عمل، وقد ذكر الله تعالى حالتهم هذه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١٦ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٧ ﴾{ آل عمران: ١١٦- ١١٧.}، قال الإمام ابن القيم في تفسيره لهذه الآية:" هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته، فشبه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء، وحسن الذكر، ولا يبتغون به وجه لله، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وأتباع رسله- بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جدا، يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته، .. وفي قوله ﴿ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ تنبيه على

أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة، حتى أهلكت زرعهم وأيبسته. فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها"[١]

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" قال مقاتل: لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب ذكر كفارهم في هذه الآية، والظاهر أن المراد بذلك: كل من كفر بما يجب الإيمان به، .. وقوله: ﴿ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ بالكفر المانع من قبول النفقة التي أنفقوها"[٢].

فما ينفقه الكفار من أموال ـ في كل زمان ومكان ـ للصد عن سبيل الله تعالى وظلم عباده، هو في الحقيقة ظلما لأنفسهم؛ لأنهم سيتحملون تبعات ذلك في الدنيا والآخرة.

## المطلب الرابع:

## ظلم بلقيس لنفسها بعبادتها للشمس من دون الله

كانت بلقيس من قوم كافرين بالله تعالى، يعبدون الشمس من دون الله تعالى، فوقعت في ظلم نفسها بفعلها هذا، وبعد المراسلات التي جرت بينها وبين سيدنا سليمان عليه السلام، أخذ يدعوها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الشمس، فشرح الله صدها للإيمان به سبحانه وتعالى، وبذلك نجت من ظلم نفسها، وقد ذكر الله تعالى لنا هذه الحادثة في قوله تعالى: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ {النمل: ٤٤}، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ ﴾ قال أبو عبيدة: الصرح: القصر، وقال الزجاج: الصرح: الصحن، يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها، قال ابن قتيبة: الصرح: بلاط اتخذ لها من قوارير، وجعل تحته ماء وسمكا، وحكى أبو عبيد في الغريب أن الصرح كل بناء عال مرتفع، ﴿ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ ﴾ أي فلما رأت

---

(١) مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، التفسير القيم ، ص٢١٨ .

(٢) الشوكاني، فتح القدير ١٥/٢مرجع سابق، باختصار.

الصرح بين يديها حسبت أنه لجة، واللجة: معظم الماء، فلذلك كشفت عن ساقيها لتخوض الماء، فلما فعلت ذلك ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ الممرد: المحكوك المملس، ومنه الأمرد، وتمرد الرجل إذا لم تخرج لحيته، قاله الفراء، والممرد أيضا: المطول، ومنه قيل: للحصن مارد، فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت، واستسلمت، و﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ أي بما كنت عليه من عبادة غير الله، وقيل: بالظن الذي توهمته في سليمان؛ لأنها توهمت أنه أراد تغريقها في اللجة، والأول أولى، ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ متابعة له داخلة في دينه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾"[1].

وقال الشيخ الشعراوي:" ﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بالكفر أولا، وبظن السوء في سليمان، وأنه يريد أن يغرقني في لجة الماء ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ .. وقولها: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ مثل قول سحرة فرعون لما رأوا المعجزة: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ {طه : ٧٠}؛ لأن الإيمان إنما يكون بالله والرسول دال على الله ؛ لذلك قالت: ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ "[2] .

فبلقيس وقعت في ظلمها لنفسها؛ لأنها ﴿كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾{ النمل: ٤٣ } يعبدون الشمس من دون الله تعالى، لكن رحمة الله تداركتها بأن آمنت بالله تعالى، واستجابت لدعوة نبي الله سليمان عليه السلام؛ فأنقذها الله من ظلمها لنفسها.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير ٥/ ٣٦٤ ، مرجع سابق، باختصار.

(2) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي صـ ٦٧٥١.

## المبحث الثالث:

## ظلم اليهود لأنفسهم

يقف بنوا إسرائيل في مقدمة القوم الذين ظلموا أنفسهم، فقد كانوا خير أمة أخرجت للناس، وفضلهم الله على العالمين في زمانهم، ونالوا هذه المنزلة العالية عندما استقاموا على أمر الله تعالى، وآمنوا برسله الذين بعثهم الله فيهم، لكنهم يوم أن تنكبوا عن صراط الله المستقيم، وبغوا وتحايلوا على شرع الله تعالى، واتبعوا خطوات الشيطان الرجيم، فعبدوا العجل من دون لله تعالى، عند ذلك وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، فاستحقوا عقوبات الله عليهم، فمزقهم الله في الأرض أمما، وحرَّم الله تعالى عليهم كثيراً من الطيبات، وقد نالوا كل هذه العقوبات، بسبب ظلمهم لأنفسهم وببغيهم، وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجين من نماذج ظلم النفس الذي وقع فيه بنوا إسرائيل نتناولهما في المطلبين التاليين على النحو الآتي:

### المطلب الأول:

### ظلم اليهود لأنفسهم بعبادتهم العجل

أرسل الله سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ نبياً إلى بني إسرائيل؛ لاستنقاذهم من بطش فرعون وكفره، وقد بذل في سبيل ذلك جهداً كبيرا، ولاقى في سبيل تحقيق هذه الغاية من العنت من فرعون وملائه ما لاقى، وفي النهاية أغرق الله فرعون وجنوده في اليم، ونجى الله موسى ـ عليه السلام ـ ومن آمن معه، وبعد ذلك ترك سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ بني إسرائيل وذهب لمناجاة ربه في جبل الطور، ولما عاد إليهم وجد كثيراً منهم قد عبدوا العجل من دون الله تعالى، فظلموا أنفسهم بذلك، وقد ذكر الله لنا هذه الحالة في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ {البقرة: ٥٤.}،، قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية:" ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ أي واذكروا إذ قال موسى لقومه بعدما رجع من الموعد الذي وعده ربه فرآهم قد اتخذوا العجل ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ

﴿ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ أي بعبادتكم للعجل، فلما عبدوا العجل كانوا قد أضروا بأنفسهم؛ لأن ما يؤدي إلى ضرر الأبد من أعظم الظلم، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ {لقمان : ١٣}، لكن هذا الظلم من حقه أن يقيد؛ لئلا يوهم إطلاقه إنه ظلم الغير؛ لأن الأصل في الظلم ما يتعدى، فلذلك قال: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾، أما قوله تعالى: ﴿بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ المراد باتخاذكم العجل إلها، وقوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فيه بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس؛ وإنما كان كذلك لأن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن شرط توبتهم قتل النفس، كما أن القاتل عمدا لا تتم توبته إلا بتسليم النفس حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه، فلا يمتنع أن يكون من شرع موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل[١] .

وقال الشيخ الشنقيطي:" قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾، ولم يذكر المفعول الثاني للاتخاذ في جميع القرآن، وتقديره: باتخاذكم العجل إلها، كما أشار له في سورة طه بقوله: ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ {طه : ٨٧-٨٨ }[٢].

فظلم النفس الذي وقع فيه بنو إسرائيل، قادهم إلى عبادة العجل من دون الله تعالى؛ فاستحقوا بذلك أن يُنزل الله بهم أقسى العقوبات في الدنيا، بأن لا تُقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضا؛ ليكونوا عبرةً لكل ظالم لنفسه سلك طريقهم واقتفى آثارهم، إلى يوم الدين.

---

(١) فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، دار النشر : دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى. ١٠٨/٢

(٢) مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م١/ ٤٥.

## المطلب الثاني:

## ظلم اليهود لأنفسهم ببغيهم

ومما ظلم به بنو إسرائيل أنفسهم: بغيهم، وتمثل ذلك بتعديهم على حدود الله، وانتهاكهم حرماته، فتوالت عليهم عقوبات الله المتنوعة؛ بأن حرمهم من بعض الطيبات، وقطعهم في الأرض أمما متفرقة إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ {الأنعام: ١٤٦}، وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم بعضاً من تلك العقوبات التي أنزلها ببني إسرائيل بسبب ظلمهم لأنفسهم وببغيهم، وسوف نتناول تلك العقوبات على النحو التالي:

**العقوبة الأولى: حرَّم الله عليهم بعض الطيبات**

وهذه الطيبات ـ التي حرَّمها الله تعالى على بني إسرائيل ـ هي في الأصل كانت حلالا لهم ولغيرهم، لكن الله حرمها على بني إسرائيل بسبب ظلمهم لأنفسهم قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ {النحل: ١١٨}، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" وحرّمنا من قبلك يا مُحَمَّد على اليهود، ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام[1]، وذاك كلّ ذي ظفر، ومن البقر والغنم، حرمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظُهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ ﴾ بتحريمنا ذلك عليهم ﴿ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم، وظُلمِهم أنفسهم بمعصية الله، فأورثهم ذلك عقوبة الله"[2]

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ {الأنعام: ١٤٦}

(٢) الطبري، جامع البيان ١٧/ ٣١٥، مرجع سابق.

وقال الشيخ الشعراوي:" اليهود عاقبهم الله بتحريم هذه الأشياء، مع أنها حلال في ذاتها، وهذا تحريم خاصٌّ بهم كعقوبة لهم، وقوله تعالى: ﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ المراد ما ذُكِر في سورة الأنعام.. حرَّمه عليهم عقوبةً لهم على ظلمهم وبغيهم، **وأول الظلم** وقمته الشرك بالله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ {لقمان : ١٣}، **ومن ظلمهم**: ما قالوه لموسى عليه السلام بعد أن عبر بهم البحر، ومرُّوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ {الأعراف: ١٣٨}، **ومن ظلمهم** لموسى عليه السلام: أنهم لم يؤمنوا به، كما قال تعالى : ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن﴾ {يونس: ٨٣}،**ومن ظلمهم**﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {النساء: ١٦١}، **ومن ظلمهم**: أنهم عبدوا العجل من دون الله.

إذن: بسبب ظلمهم وأخذهم غير حَقِّهم حرَّم الله عليهم أشياء كانت حلالاً لهم؛ قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ظلموا أنفسهم، بأن أعطوا لأنفسهم متاعاً قليلاً عاجلاً، وحرموها من المتعة الحقيقية الباقية"[(١)]. عقوبةً لهم على ما اقترفوه.

**العقوبة الثانية: تفريقهم في الأرض**

الاجتماع بين الأهل والأقارب وأبناء الدين الواحد، نعمة من نعم الله تعالى، ولا يعرف قيمة هذه النعمة إلا من ذاق مرارة الفراق والاغتراب، لهذا كتب الله على بني إسرائيل الفرقة والشتات في الأرض ـ علّهم يقوّموا اعوجاجهم ويصلحوا انحرافهم ويعودوا إلى جادة الصواب ـ كما قال تعالى﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ {الأعراف: ١٦٨ }؛ قال الإمام الألوسي عند هذه الآية:" ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾ أي فرقنا بني اسرائيل أو صيرناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾وجعلنا كل

---

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي صـ٥٠٦٢ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

فرقة منهم في قطر من أقطارها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم حتى لا يكون لهم شوكة، ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وهم آمن بالله تعالى ورسوله وثبت على دينه قبل بعث عيسى عليه الصلاة والسلام، وقيل هم الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به ونسب ذلك إلى ابن عباس ومجاهد ، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي منحطون عن أولئك الصالحين غير بالغين منزلتهم في الصلاح وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر وخالفوا بعضاً مع كونهم مؤمنين، ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ الخصب والعافية ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الجدب والشدة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون عما كانوا عليه مما نهوا عنه"[١]، وعقوبة تفريق الله لبني إسرائيل في الأرض تُضاف لعقوبة أخرى ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {الأعراف: ١٦٧ ، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ تَفَعَّل من الإذن أي: أعلم، قاله مجاهد. وقال غيره: أمر، ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم، وقد كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكلدانيين، ثم صاروا في قهر النصارى، ثم جاء الإسلام، ومُحَمَّد، عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانوا تحت صفاره وذمته يؤدون الخراج والجزية،[٢]، قال ابن عباس في تفسير سوء العذاب: هي المسكنة، وأخذ الجزية منهم، ثم إنهم في آخر الزمان يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم، عليه السلام، وذلك آخر الزمان"[٣]، وعقوبة الله لليهود ـ بضرب الذلة والمسكنة عليهم ـ لا تتنافى مع رفعها عنهم في بعض الأوقات، إذا أراد الله ذلك، أما بعث من يسومهم سوء

---

(١) الألوسي، روح المعاني ٦/ ٤١٢، باختصار وتصرف يسير.

(٢) قلت: وفي عصرنا الحاضر سلط الله عليهم هتلر ألمانيا، فسامهم سوء العذاب، وقتل منهم خلقاً كثيرا، حتى إنهم إلى اليوم لا يزالون يندبون حضهم، ويتباكون على ما يسمونها المحرقة النازية التي وقعت لهم في المانيا، وما علموا أنها جزء من العقاب الإلهي الذي توعدهم الله به إلى يوم القيامة، فسبحان من تجري الأمور وفق إرادته ومشيئته.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٩٧، باختصار، وتصر يسير.

العذاب فهذا مستمر معم إلى يوم القيامة، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الرازي حيث قال:" واحتج بعض العلماء على لزوم الذل والصغار لليهود بقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ {آل عمران: ١١٢}، إلا أن دلالتها ليست قوية لأن الاستثناء المذكور في هذه الآية يمنع من القطع على لزوم الذل لهم في كل الأحوال، أما آية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، لم يحصل فيها تقييد ولا استثناء، فكانت دلالتها على هذا المعنى قوية جداً"[١]، وقد ذكر الله في كتابه الكريم بأن تلك العقوبات التي أنزلها الله ببني إسرائيل إنما كانت بسبب ظلمهم لأنفسهم، وعدم شكره على نعمه التي أنعم بها عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾{الأعراف: ١٦٠}.ومما تجدر الإشارة إليه أن عقوبة الله لليهود ـ بضرب الشتات عليهم وتفريقهم في الأرض ـ لا يتنافى مع تجمع شتاتهم وتكوين دولتهم، وهذا من العلو في الأرض الذي يجعله الله لليهود في آخر الزمان قبل قيام الساعة، وهو دليل على قرب نها يتهم، وصدق الله القائل:﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾{ الإسراء: ١٠٤ }.

---

([١]) الرازي ، مفاتيح الغيب / ٢٨٥، مرجع سابق، بتصرف يسير

## المبحث الرابع:

## التوبة من ظلم النفس

كل إنسان في هذه الدنيا معرض لأن يظلم نفسه، بأن يقع في الخطأ، ويصدر منه الزلل، وهذه طبيعة بني آدم، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى، فعن أنس أن النبي ﷺ قال:« كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[(١)]، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة ودعاهم إلى العودة إليه سبحانه وتعالى ـ والعبد الصادق مع ربه ـ عليه أن يستجيب لهذه الدعوة ويسارع للعودة إلى الله تعالى ـ مهما صدر منه من خطأ أو زلل ـ لأنه يعلم أن باب التوبة مفتوح وأن رحمة الله تعالى واسعة، وقد جاءت دعوة الله لعباده الظالمين لأنفسهم إلى التوبة إليه في مواضع متعددة في كتابه الكريم، نذكر منها ثلاثة مواضع، وهى التي جاء ذكرها عقب ظلم الإنسان لنفسه في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

### المطلب الأول:

### التوبة من ظلم النفس إذا ارتكبت فواحش الذنوب

رَكَّبَ الله في الله تعالى في الناس كثيراً من الغرائز، وشرع لهم ـ لإشباعها ـ طرقاً مشروعة ونظيفة، ومن هذه الغرائز الغريزة الجنسية، ولإشباع هذه الغريزة شرع الإسلام الزواج، فإذا انحرف الناس عن هذا الطريق المشروع ـ وسعوا لإشباع غرائزهم بالحرام ـ فقد تعدوا حدود الله وظلموا أنفسهم، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في قولع تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾{ آل عمران: ١٣٥.}

---

(١) الترمذي، سنن الترمذي برقم(٢٤٩٩) مرجع سابق، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، وقال الألباني عنه :حسن، وينظر: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، برقم(٣١٣٩)

قال الإمام ابن الجوزي:" قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾ في سبب نزولها أقوال :

**أحدها:** أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمرا فضمها، وقبلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. **والثاني:** أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فقال النبي ﷺ «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، هذا قول عطاء"[(١)]، وقال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية:" أو" في قوله:"﴿ أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ المراد به ما دون الكبائر، ﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ معناه بالخوف من عقابه والحياء منه، قاله الضحاك: ذكروا العرض الأكبر على الله، وقيل تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم عنه، قاله الكلبي ومقاتل، وعن مقاتل أيضا: ﴿ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ باللسان عند الذنوب، ﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم، فالاستغفار عظيم وثوابه جسيم، حتى لقد روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له، وإن كان قد فر من الزحف»[(٢)]، وروى مكحول عن أبي هريرة قال: ما رأيت أكثر استغفارا من رسول الله ﷺ، قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ ﴾ أي ولم يثبتوا ويعزموا على ما فعلوا، وقال مجاهد: أي ولم يمضوا، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الإصرار هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، وقال قتادة: الإصرار الثبوت على المعاصي، والإصرار هو التسويف، والتسويف أن يقول: أتوب غدا، وهذا دعوى النفس، كيف يتوب غدا وغدا لا يملكه، وقال

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ١/. ٤١٧ مرجع سابق باختصار وتصرف، وينظر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، العجاب في بيان الأسباب صـ ٢٩٣.

(٢) صحيح الترمذي برقم(٣٥٧٧).

غير سهل: الإصرار هو أن ينوي أن يتوب فإذا نوى التوبة النصوح خرج عن الإصرار، وقول سهل أحسن."[١] .

ففي هذه الآية العظيمة فتح الله باب التوبة لمن ظلم نفسه فوقع في فواحش الذنوب والمعاصي، فمن ظلم نفسه ووقع في شيء من ذلك فباب التوبة أمامه مفتوح، فليسارع إلى الولوج فيه، وليستغل هذا العرض الرباني له بالمغفرة، بل ويُلحقه بركب المتقين، متى ما صدق في الإقبال على ربه، وكانت توبته خالصةً يبتغي بها رضوان الله ومغفرته.

وصدور الذنوب والمعاصي أمر يقع فيه كل إنسان، لكن العبد الصادق يجعل من الذنب دافعاً له للعودة إلى ربه والانطراح بين يديه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم»[٢]

## المطلب الثاني:

## التوبة من ظلم النفس بعدم طاعة رسول الله والاحتكام للطاغوت

جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ، من طاعته سبحانه وتعالى، فقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾{ النساء: ٨٠}؛ لهذا من أطاع الله تعالى ولم يطع رسوله فقد ظلم نفسه؛ لأن إيمانه لم يكتمل، ومن وقع في مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، ولم يطعه في كل ما أمره به، مطلوب منه أن يسارع إلى التوبة إلى الله تعالى من هذا الفعل، وقد جاء في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ

---

(١) أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢١٠، باختصار، وتصرف يسير

(٢) صحيح مسلم برقم٠ (٤٩٣٦).

بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ {النساء: ٦٤.}،

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية" يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدودا،﴿ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾، باكتسابهم إياها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿ جَآءُوكَ ﴾، جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم الله رسوله ﷺ مثل ذلك، فلو فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم ﴿ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ بهم، في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه، وقال مجاهد: عني بذلك اليهودي والمسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف" [١].

وقال الشيخ السعدي:" أخبر تعالى عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك"[٢].

والمتأمل في السياق الذي جاءت فيه هذه الآية يجد أنها جاءت في سياق الحديث عن المنافقين الذين يزعمون الإيمان برسول الله ﷺ، ثم لا يتحاكمون إلى منهجه، وابتدأ سياق

---

(١) الطبري، جامع البيان ٨/ ٥١٧مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن صـ ١٨٤مرجع سابق.

هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ... ﴾{ النساء: الآيات من٦٠ ـ ٦٣}. فطاعة الرسول ﷺ واجبة في كل ما يأمر به، وكل من يترك طاعته ﷺ ـ راغباً عنها، مختاراً لغيرها ـ يُعدُ ظالم لنفسه؛ لأنه ترك طاعة رسول الله ﷺ التي هي من طاعة الله تعالى، وعليه التوبة من ذلك والاستغفار مما فعل؛ حتى يقبل الله توبته، ولا يرد استغفاره.

## المطلب الثالث:

## التوبة من ظلم النفس بعمل السوء عموما

استمراء السوء من الأمراض الخطيرة التي من تلبس بها فقد ظلم نفسه؛ وذلك لأنه سوف يتعرض لسخط الله وعقابه في الدنيا والآخرة، ورغم خطورة هذا المرض إلا أن الله تعالى دعا أصحابه إلى التوبة من ذلك والعودة إليه سبحانه وتعالى، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ {النساء:١١٠}، هذه الآية نزلت في رجل منافق، ظلم نفسه بسرقة درع رجل يهودي(١)، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية:" ومن يعمل ذنبا، وهو"السوء" ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ﴾، بإكسابه إياها ما يستحق به عقوبة الله ﴿ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ﴾، يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعته ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه﴿ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، يقول: يجد ربه ساترا عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه، رحيما به، واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها الذين وصفهم الله بالخيانة بقوله: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ﴾ {النساء:

(١) ينظر: علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، أسباب نزول القرآن، . صـ ١٨٣.

١٠٧}وقال آخرون: بل عني بها الذين كانوا يجادلون عن الخائنين، الذين قال الله لهم: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ {النساء: ١٠٩}، والصواب من القول في ذلك عندنا: أنه عنى بها كل من عمل سوءا أو ظلم نفسه، وإن كانت نزلت في أمر الخائنين والمجادلين عنهم الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها"[١] .

وقال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية:" المراد بالسوء القبيح الذي يسوء به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع ومن رمي اليهودي بالسرقة والمراد بظلم النفس ما يختص به الإنسان كالحلف الكاذب، وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء؛ لأن ذلك يكون في الأكثر إيصالا للضرر إلى الغير، والضرر سوء حاضر، فأما الذنب الذي يخص الإنسان فذلك في الأكثر لا يكون ضررا حاضرا؛ لأن الإنسان لا يوصل الضرر إلى نفسه، واعلم أن هذه الآية دالة على حكمين:

**الأول**: أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب سواء كانت كفرا أو قتلا، عمدا أو غصبا للأموال؛ لأن قوله ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ﴾ عم الكل،

---

(١) الطبري، جامع البيان ٩/ ١٩٤، مرجع سابق، باختصار.

## المبحث الخامس:

## عاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه

فتح الله تعالى باب التوبة لعباده، دعا من ظلم نفسه بالعودة إليه، ومن أعرض عن هذه الدعوة ـ ولم يستجب لها ـ سوف يندم يوم لقاء ربه، يوم لا ينفع الندم، وستكون عاقبة إعراضه عن التوبة في الآخرة وخيمة، وقد تحدث القرآن الكريم عن عواقب الذنوب والمعاصي في الآخرة في موطن متعددة، ونحن سوف نذكر ثلاثة نماذج من هذه الذنوب، وهي التي جاء ذكرها مقترناً بظلم النفس في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

### المطلب الأول:

### عاقبة من ظلم نفسه بترك الهجرة إذا توفرت الدواعي وانتفت الموانع

يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ {النساء: ٩٧- ٩٩}، مطلوب من المسلم في هذه الحياة، أن يعبد الله وحده لا شريك له، وعليه أن يعمل على إظهار شعائر هذا الدين الذي يؤمن به، وأن يعبر عن اعتزازه بمظاهر الإسلام الذي ينتمي إليه، فإذا لم تتوفر له الحرية الكاملة لعبادة ربه بما شرع، أو خاف على نفسه من الفتنة في الدين، عند ذلك أوجب عليه الإسلام أن يترك ذلك البلد، وأن يهاجر إلى بلد يسمح له بعباده ربه سبحانه وتعالى، وإذا أصر على البقاء في بلد يُنتقص فيه الدين، ويحارب فيه المؤمنين ـ مع قدرته على الهجرة ـ ولم يكن من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ـ عند ذلك يكون قد وقع في ظلمه لنفسه وتعرض لعقاب شديد إن توفي ولم يتب.

**سبب نزول هذه الآية:**

في سبب نزول الآية أقوال منها:

**الأول**: أن هذه الآية نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجوا معه مهاجرين، فمن مات منهم قبل أن يلحق بالنبي، ضربت الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس[(١)].

**الثاني**: عن بن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾[(٢)]، قال الإمام الزمخشري ـ وهو يتحدث عن المهاجرين الذين عناهم الله في هذه الآية ـ :" وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. فقالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء، فبكتتهم الملائكة بقولهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ ﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب ـ لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين ـ أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة، حقت عليه المهاجرة"[(٣)]

وقال سيد قطب:" لقد كان هذا النص يواجه حالة واقعة في الجزيرة العربية – في مكة وغيرها – بعد هجرة رسول الله – ﷺ – وقيام الدولة المسلمة، فقد كان هناك مسلمون لم يهاجروا، حبستهم أموالهم ومصالحهم، أو حبسهم إشفاقهم وخوفهم من مشاق الهجرة، وجماعة حبسهم عجزهم الحقيقي، من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة للهرب ولا يجدون سبيلا للهجرة .. وهكذا نزلت هذه النصوص تسمي هؤلاء القاعدين: ﴿

---

(١) الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق باختصار وتصرف يسير صـ ١٨٠ ، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢/ ٩٠.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٢٣٠).

(٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١/ ٥٥٥. باختصار يسير

ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، وتوعدهم بـ ﴿ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾، مما يدل على أنها تعني الذين فتنوا عن دينهم بالفعل هناك، ثم يستثني من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر؛ والتعرض للفتنة في الدين؛ والحرمان من الحياة في دار الإسلام من الشيوخ الضعاف، والنساء والأطفال، فيعلقهم بالرجاء في عفو الله ومغفرته ورحمته؛ بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار: ﴿ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴿٩٩﴾ ﴾ {النساء: ٩٨ - ٩٩}، ويمضي هذا الحكم إلى آخر الزمان؛ متجاوزا تلك الحالة"[١].

إن هذه الآية تطلب من كل مسلم أن يعيش حراً كريما، فإذا وُجدت بيئة وعلم المسلم أنه سوف يُستذل فيها، أو لا يستطيع أن يعبد الله بكامل حريته وإرادته، أو أرغم على التعامل بغير الأحكام الإسلامية، ففي هذه الحالة يكون من الواجب عليه الهجرة من تلك البلد إلى أي بلد يستطيع أن يعبد الله فيها بما شرع، وإن لم يفعل فقد ظلم نفسه مرتين: إحداهما بالهوان في الدنيا، والثانية بعذاب الآخرة.

## المطلب الثاني:

## عاقبة من لم يتب من ظلم نفسه بالكفر بالله تعالى

الكفر بالله تعالى من أقبح الظلم الذي يُوقعه إنسان على نفسه؛ وذلك لما يجره على صاحبه من وبال وعذاب في الدنيا والآخرة، حيث تبدأ عاقبة الكافرين الظالمين لأنفسهم من اللحظات الأولى لخروجهم من دنياهم، فتتلقاهم ملائكة الموت بالعذاب والإهانة والضرب، وتستمر هذه العاقبة في قبورهم، وتنتهى عاقبته كفرهم بأن تكون نار جهنم مثواهم وبئس القرار، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه العاقبة في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٢/ ٢٢٢مرجع سابق، باختصار، وتصرف.

﴿فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ {النحل: ٢٨- ٢٩}، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية:" يخبر تعالى عن حال الكافرين الظالمي أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم:﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾ قال الله مكذبا لهم في قيلهم ذلك: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩﴾ النحل: {٢٨ - ٢٩}أي: بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان، لمن كان متكبرا عن آيات الله واتباع رسله، وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، ويأتي أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ {فاطر: ٣٦} [1].

وقال الشيخ الشعراوي:" ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾أي: تتوفّاهم في حالة كونهم ظالمين لأنفسهم، وفي آية أخرى قال الحق تبارك وتعالى:﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ {النحل : ١١٨}، فالإنسان الكافر حينما يعطي نفسه متعة في الدنيا الزائلة المنقطعة، يُفوّت عليها المتعة الباقية في الآخرة، وهذا منتهى الظلم للنفس، ثم يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾، أي: خضعوا واستسلموا ولم يعد ينفعهم تكبّرهم وعجرفتهم في الدنيا، ذهب عنهم كل هذا بذهاب الدنيا التي راحت من بين أيديهم، ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭ﴾، والواقع أنهم بعد أن ألقوا السلم

---

([1]) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم / ٥٦٧، باختصار وتصرف يسير.

ورفعوا الراية البيضاء واستسلموا، أخذهم موقف العذاب فقالوا محاولين الدفاع عن أنفسهم: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ﴾ "[1]

فالكافرين بالله تعالى وإن تمتعوا في دنياهم بأنواع الملذات، وعملوا على راحة أنفسهم - بزعمهم - بكل المشتهيات، هم في الحقيقة من الظالمين لأنفسهم؛ لما يجروه عليها من أليم العذاب والحسرات في دنياهم وعند الممات، وفي الآخرة مصيرهم النار وبئس القرار.

## المطلب الثالث:

## عاقبة من لم يتب من ظلم نفسه بالشرك

الشرك بالله تعالى أعظم الذنوب، ومن وقع فيه فقد ظلم نفسه ظلماً عظيما؛ لأن عاقبة شركه في الآخرة وخيمة؛ وذلك بأن يُحرِّم الله عليه الجنة ويدخله النار، عند ذلك يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب الله تعالى في ذلك اليوم بكل ما يملكه، وقد جاء في هذا لصدد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾{ يونس: ٥٤.}، قال ابن عاشور: ومعنى ﴿ ظَلَمَتْ ﴾ أشركت، وهو ظلم النفس، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ {لقمان: ١٣}، والمعنى أن هذا العذاب لا تتحمله أية نفس على تفاوت الأنفس في احتمال الآلام، ولذلك ذكر لكل نفس دون أن يقال ولو أن لكم ما في الأرض لافتديتم به، ﴿ مَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ يعم كل شيء في ظاهر الأرض وباطنها؛ لأن الظرفية ظرفية جمع واحتواء، و﴿ لَٱفْتَدَتْ ﴾ مرادف فدى، وفيه زيادة تاء الافتعال لتدل على زيادة المعنى، أي لتكلفت فداءها به، وقوله تعالى: ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، ومعنى: ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم ﴾ قضي فيهم، أي قضي على كل واحد منهم بما

---

([1]) تفسير الشعراوي صـ ٤٨٧٨ مرجع سابق، باختصار وتصرف.

يستحقه بالعدل، فالقضاء بالعدل وقع فيهم، وليس المعنى أنه قضي بين كل واحد وآخر؛ لأن القضاء هنا ليس قضاء نزاع ولكنه قضاء زجر وتأنيب، إذ ليس الكلام هنا إلا على المشركين وهم صنف واحد، وجملة: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ حالية"[١] .

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية :" أي: ولو أن لكل نفس من الأنفس المتصفة بأنها ظلمت نفسها بالشرك بالله، وعدم الإيمان به ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، من كل شيء من الأشياء التي تشتمل عليها من الأموال النفيسة، والذخائر الفائقة لافتدت به: أي جعلته فدية لها من العذاب، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ {آل عمران: ٩١}' الضمير راجع إلى المشركين، الذين سياق الكلام معهم، وقيل: راجع إلى الأنفس المدلول عليها بكل نفس، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾أي: قضى الله بين المؤمنين وبين الكافرين، أوبين الرؤساء والأتباع، أوبين الظالمين من الكفار والمظلومين، وقيل: معنى القضاء بينهم: إنزال العقوبة عليهم، والقسط: العدل"[٢].

فليحذر المسلم من أن يقع في الشرك أوفي أي صورة من صوره؛ حتى لا يظلم نفسه، بأن يُعرِّضها لسخط الله وعذاب في الدنيا والآخرة.

---

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٧/١١ مرجع سابق ،باختصار وتصرف يسير.

(٢) الشوكاني ،فتح القدير ٣/ ٣٨٦ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

## الخاتمة

**أولا: النتائج:** خَلُصَ البحث إلى النتائج التالية:

١. ظلم النفس من أنواع الظلم التي نهى الله عنها، وحذر منها في كتابه الكريم.
٢. هذا النوع من الظلم يقع بين العبد ونفسه ولا يتعلق بحقوق الآخرين.
٣. النماذج الإنسانية التي ذكرها القرآن الكريم ـ لمن ظلموا أنفسهم ـ قابلة للظهور في كل زمان ومكان
٤. اليهود والكفار أكثر الناس ظلماً لأنفسهم.
٥. يقع في ظلم النفس بعض أهل الإسلام بدرجات متفاوتة.
٦. دعا الله في كتابه الكريم من ظلم نفسه إلى التوبة إليه.
٧. ظلم النفس له عواقب وخيمة على الإنسان في الدنيا والآخرة.

**التوصيات**

١. يوصي الباحث، بدراسة الأنواع الأخرى من أنواع الظلم دراسة موضوعية من خلا القرآن الكريم.
٢. يوصي الباحث الدعاة والخطباء ببيان هذا النوع من الظلم، وتوعية الناس بمخاطره.

## المراجع والمصادر


١ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي(١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة الثانية)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار النشر: دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢ أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (١٤١١ هـ، الطبعة الأولى) ، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م الطبعة: الاولى) البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .

٤ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م الطبعة: الثانية) ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.

٥ أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزي، ( ١٤٢٢ هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦ أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ( ١٩٩٧ م الطبعة: الأولى) العجاب في بيان الأسباب تحقيق، عبدالحكيم مُحَمَّد الأنيس، دار النشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.

٧ أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، ( ١٤١٢هـ الطبعة: الأولى) المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت.

٨ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (١٤٠٧هـ ـ الطبعة الثالثة) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار النشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٩ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الطبعة: الأولى) مسند أبي داود الطيالسي تحقق: الدكتور مُحَمَّد بن عبد المحسن التركي دار النشر: دار هجر – مصر.

١٠ أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه النيسابوري، المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص، للذهبي، دار النشر: دار المعرفة،: بيروت.

١١ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م الطبعة الثانية) ،الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار النشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

١٢ أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي( ١٩٩٨م الطبعة: الثانية) سنن الترمذي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ادار النشر: دار الجيل ـ بيروت + دار العرب الإسلامي ـ بيروت.

١٣ أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا، ( ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السَّلام مُحَمَّد هَارُون، دار النشر: اتحاد الكتاب العرب .

١٤ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، (، ٢٠٠٥ م الطبعة الثالثة) مجموع الفتاوى، تحقق: أنور الباز، عامر الجزار، دار النشر: دار الوفاء ـ مصر.

١٥ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م الطبعة الثانية) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار النشر: دار المعرفة — بيروت.

١٦ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي،( ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م الطبعة: الأولى)، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق، مُحَمَّد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٧ سيد قطب إبراهيم، فى ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق، القاهرة .

١٨ شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي،( ١٤١٥هـ، الطبعة الخامسة) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي،( ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٠ علي بن مُحَمَّد بن علي الزين الشريف الجرجاني،( ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م الطبعة: الأولى)،التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٢١ فخر الدين مُحَمَّد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى)، مفاتيح الغيب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٢ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبوعبد الله ابن قيم الجوزية،( ١٣٩٣هـ—١٩٧٣ م الطبعة الثانية) ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٣ مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .

٢٤ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، (١٩٩٧ م)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.

٢٥ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، ( ١٤١٤ —١٩٩٤ الطبعة الثانية)طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار النشر: دار ابن القيم — السعودية، الدمام.

٢٦ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبوعبد الله ابن قيم الجوزية ( ١٩٨٥ ، الطبعة الأولى )،الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق : مُحَمَّد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي — بيروت.

٢٧ مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١٠ هـ الطبعة: الأولى) التفسير القيم، لا بن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار النشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت.

٢٨ مُحَمَّد بن أحمد بن علي الحجري (، ٢٠٠٤م الطبعة الرابعة)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، دار النشر: مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٢٩ مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة أبوبكر السلمي النيسابوري (١٣٩٠ – ١٩٧٠ )، صحيح ابن خزيمة، تحقيق : د. مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت

٣٠ مُحَمَّد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، (١٤٠٧ –١٩٨٧ الطبعة الثالثة) ، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت.

٣١ مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري ( ١٤٢ هـ الطبعة: الأولى)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٢ مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني( ١٤١٤ هـ الطبعة: الأولى)، فتح القدير، دار النشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.

٣٣ مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري( الطبعة الأولى)، لسان العرب، دار النشر: دار صادر – بيروت.

٣٤ مُحَمَّد متولي الشعراوي، (١٩٩٧ م الطبعة الأولى) تفسير الشعراوي دار النشر: مطابع أخبار اليوم.

٣٥ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض.

٣٦ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى) صحيح الترغيب والترهيب، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض .

٣٧ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.